

متاعب محمود

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل

سلسلة حكايات شعبية ـ ٣٠ ـ


كانَ محمود طفلاً مشاكِساً . وكانَ كثيراً ما يخلقُ المتاعبَ لأهله . لقد بَلغَ العاشِرة منْ عُمرهِ ولكنّهُ ما يزال في الصف الثالثِ الابتدائي لأنه رسب سنتين ، سنة في الصف الأول ، وسنة في الصف الثاني . نصحه مدير المدرسة كثيراً ، ونصحه المعلمون كثيراً ، ولكن دون جدوى ، فقد كان يزداد إهمالاً في دروسه بقدر ما كان يزداد مشاكسةً لزملائه ومعلميه .



كان والد محمود قد توفي، ومحمود في الثالثة من عمره. وكانت أمه تعمل في الخياطة لتكسب له ولأخته الصغيرة لقمة العيش.. ولكن محمود بدل أن يجتهد لتفرح به أمه، كان في نهاية كل شهر يأتي بشهادته المدرسية مليئة بالخطوط الحمر تحت درجات الرسوب.



لقد تعبت المسكينة من كثرة ما نصحته ، فأخذت تستسلم للبكاء . أما هو ، فقد أخذ يخفي الشهادة عن أمه ولا يخبرها بنتيجته في الامتحان ، ولكنها تعرف بها من أخته عائشة .



عائشة كانت طفلة مجتهدة ، تطيع أمها ، وتسمع نصائحها ، وتساعدها في شؤون البيت . ورغم أنها كانت أصغر من محمود بسنتين ، فقد أصبحت معه في الصف الثالث . وفي كل شهر كانت تبحث عن وثيقة درجات محمود بين دفاتره وكتبه الممزّقة ، وتقرأ لأمها درجاته في الامتحانات ، ولهذا كانت تتعرض دائماً إلى أذى محمود ، واعتدائه عليها .

أخيراً حصل ما كان لا بد أن يحصل . لقد طُرِدَ محمود من المدرسة لما تبقّى من السنة ، لأنه اعتدى بالضرب الشديد على أحد زملائه . ولم تعرف الأمُ بالأمر إلا بعد ثلاثة أيام حيث أخبرها به تلميذ في صف محمود كان جاراً لهم .

تحدثت الأم مع ابنها في تلك الليلة طويلاً .. وبين الدموع والتوسلات أقنعته بالعمل لدى أحد أصحاب الدكاكين ليعينهم بما يحصل عليه من أجور ، ولكي يتعلمَ صنعة يستفيد منها بعد أن خسرَ مدرسته ، ثم لكي لا يسبب مزيداً من المتاعب والمشاكل بعد أن أصبح عاطلاً عن الدراسة .. ووافق محمود على العمل .



وفي اليوم التالي أخذتْ أم محمود ابنها الى رجلٍ يصنع الفخار في السوق ، ورجته أن يشغله لديه ، فوافق الرجل .

فرحتْ الأم كثيراً ، وتركتْ ولدها في دكان الخزّاف بعد أن أوصته بالحرص على التعلم ، وبطاعة الرجل الذي سيعلمه صنعة جديدة يستفيد منها في المستقبل ، ثم ودعته وانصرفت .



اشتغل محمود طيلة الصباح بجد ونشاط مما أثار استحسان الخزّاف وإعجابه به .. ولكن محمود الذي طُبعَ على المشاكسة وخلق المشاكل لم يستطعْ أن يحفظ العهد الذي قطعه لأمه على نفسه .

انتصف النهار ، وتهيأ الخزّاف للذهاب الى البيت للراحة وتناول طعام الغداء .. وهنا تذكر أنه لم يسأل محمود عن اسمه ، فقال له : ما اسمك يا بنيّ ؟

في لمح البصر عادت لمحمود روحَ المشاكسة التي أنساه إياها انغماره في العمل .. تردّد قليلاً ثم أجاب : إسمي كسّار .

قال الرجل : اسمك كسّار ؟؟

قال محمود : نعم .

قال الرجل : حسناً يا كسّار .. أنا ذاهب الى البيت لأتغدى وأرتاح . خذ هذا المبلغ لتتغدى أنت ، وعندما أعود سأراك وقد أنجزت عملاً كثيراً إن شاء الله .

قال : نعم عمي ، إن شاء الله .

وعندما همَّ الرجل بمغادرة الدكان التفت الى محمود الذي سمّى نفسه «كسّار»

كذباً ، وقال له لكي يشجعه :

- ابني كسّار .. لا تقعد خاملاً . كسّر .. كن مثل السبع .. كسّر يا كسّار .. كسر .

قال محمود وهو يبتسم بينه وبين نفسه بخبث : تأمر عمي .

خرج الرجل من دكانه ، وكان آخر ما فعل أن التفت الى محمود قائلاً : لا تنسَ يا كسّار ، إفتح عينيك على كل شيء في الدكان . كن يقظاً ونشيطاً ..

ثم أردف مداعباً : كسّر يا كسّار .. كسّر ..

لحظات مضت ..

التفت محمود فوجد نفسه وحيداً في الدكان .

كان دكان الخزّاف مليئاً بالأواني الجميلة التي قضى الفخار أياماً طويلةيجهد في صنعها .. الصحون الملونة ، والمزهريات الجذّابة بأحجامها المختلفة .. الكؤوس والمشارب .. تماثيل الحيوانات واللوحات الجدارية ..

ورنّت في رأس محمود كلمات الرجل صاحب الدكان وهو يشجعه : «ابني كسّار .. كسّر» ، والتي ما كان يقصد منها غير التشجيع على العمل مثلما تقول لواحد اسمه


سلطان إذا شجعته : سلطن يا سلطان .. و : شدّد يا شدّاد .. و : أكرم يا إكرام ..
وهكذا .



ولكن محمود، وقد سيطرت عليه روح الأذى والمشاكسة، نهض الى عصا غليظة كانت في زاوية الدكان، وانهال بها على أواني الفخار تحطيماً وتكسيراً..

ولم تمض دقائق إلاّ وقد أصبح الدكان ركاماً من الأواني المحطّمة، ثم جلس ينتظر صاحب الدكان.

عاد الرجل، وما وضع رجله على عتبة دكانه حتى صُعِقَ لما رأى، فصرخ كالمجنون: ماذا فعلت أيها اللعين؟

قالِ محمود متظاهراً بالبراءة: عمي.. ألم تقل لي: كسّر يا كسّار؟ أنت أمرتني بأن أكسر فأطعتك!

لطم الرجل على رأسه وهجم على محمود الذي قفز بدوره من الدكان هارباً.



عاد محمود الى بيته ، وأخبر أمه بأن الخزّاف طرده من العمل ، ولكنه لم يخبرها بما فعل هو بدكان الرجل .

تألمت الأم كثيراً ، وندبت حظّها .. وفي اليوم التالي أخذت ابنها الى السوق باحثة عن مكان آخر تشغّله فيه .

وفي مدخل السوق وجدت دكاناً كبيراً مليئاً بالأقمشة ، وقد جلس في وسطه رجل معمم طاعن في السن ، فسلّمت ام محمود على الرجل ثم رجته أن يشغّل ابنها في دكانه .



كان الرجل وحيداً في الدكان، ليس له من يعينه .. وكان يصعب عليه قضاء حاجاته خارج الدكان، كما أنه كان يلاقي مشقة كبيرة في أنزال أطوال القماش الثقيلة من الرفوف العالية رغم وجود السلّم الخشبي، وذلك لكبر سنّه وضعف بنيته. لذا فقد فرح فرحاً كبيراً باشتغال هذا الغلام عنده، ووعد أمه بأنه سيعلمه فنون التجارة بالقماش، وسيعطيه أجراً حسناً إذا هو أحسن مساعدته.

تركت الأم ولدها عند البزّاز بعد أن أوصته كثيراً بأن يطيع الرجل ويحسن خدمته والاستفادة من خبرته في تجارة القماش، ثم ودّعته وانصرفت.

عندما حان موعد الغداء التفت الرجل العجوز الى محمود قائلاً: «يا بنيّ .. أنا رجل عجوز كما ترى .. ومنذ زمن طويل وأنا لا أجد للراحة سبيلاً في هذا الظهر الحار لأنني ليس لي أحد أتركه في مكاني لأذهب الى بيتي. أما اليوم، فبفضلك سأذهب لأرتاح ثم أعود اليك في المساء. خذ هذه الدراهم لتتغدى، ثم اجلس في الدكان حتى أعود.»

ثم التفت الرجل الى محمود قائلاً: نسيت أن أسألك عن اسمك يا بنيّ.



تردد محمود قليلاً ، والتمع الخبث في عينيه ، ثم قال : إسمي «شبير وقصّه» يا جدي !

نظر اليه العجوز مستغرباً وسأله : ما هذا الاسم الغريب يا ولدي ؟؟

فقال محمود وهو يتحايل على العجوز : يا جدي ، إن أمي رزقت قبلي بأولاد كثيرين كانت اسماؤهم كلها جميلة ومعقولة ، ولكنهم ماتوا جميعاً .. ولهذا سمّتني بهذا الاسم الغريب عسى ألاّ أموت !.



قال العجوز : لا سمح الله يا ولدي .. لا سمح الله . والآن يا «شبير وقصّه». أنا ذاهب الى البيت .. انتبه جيداً الى الدكان .

ثم قال له مازحاً ومشجعاً : ابني «شبير وقصّه» ، إشبر وقصّ ! لا تغفل عن الدكان .. إشبر وقصّ !

ابتسم محمود بينه وبين نفسه بخبث وقال : تأمر عمي !

ولم تمض دقائق على ذهاب العجوز حتى شرع محمود بانزال أطوال القماش كلها من الرفوف ، وكوّمها في وسط الدكان ، ثم تناول المقص الكبير الذي كان العجوز يستعمله عندما يبيع ، وأخذ يقطع القماش أشباراً . ولم يمض وقت طويل إلا وكان القماش جميعه قطعاً صغيرة مكومة في وسط الدكان .

عاد العجوز من بيته ، وما كاد ينظر الى داخل دكانه حتى كاد أن يغمى عليه .. وصرخ كالمجنون : ما هذا ؟؟ ماذا فعلت أيها الأحمق ؟

فأجابه محمود : مثلما أمرتني تماماً . أنظر .. إذا رأيت واحدة منها أطول من شبر فاضربني حتى الموت .

لطم الرجل رأسه ، وتناول مسطرة الحديد التي يذرع بها القماش ، وركض وراء



محمود الذي سرعان ما قفز من الدكان واختفى عن الأنظار.

عاد محمود الى أمه متظاهراً بالحزن .. فلمّا سألته عن سبب حزنه ورجوعه مبكراً، أجابها بأنّ الرجل العجوز طرده من العمل. فاستغربت الأم كثيراً وقالت: ولكنه كان سعيداً باشتغالك عنده، فلماذا طردك؟

قال: لا أدري يا أمي. لقد ذهب الى بيته ليستريح، ثم عاد غاضباً وانهال عليّ ضرباً وطردني من الدكان.

فكرّت الأم بينها وبين نفسها .. ولئن صدّقت ما رواه ابنها امس عن الخزّاف، فإنها لم تصدّق ما رواه اليوم عن الرجل العجوز لذا قرّرت أن تكتشف الأمر بنفسها



في اليوم التالي أخذت ابنها الى أحد البقالين، والتمست منه أن يشغّله لديه، فوافق الرجل..

وبعد أن اتفق مع أم محمود على الأجر اليومي الذي سيدفعه لولدها، تركته عائدة الى بيتها، ولكنها، بينها وبين نفسها، قرّرت أن تأتي ظهراً لترى ماذا يصنع ولدها لكي يطردوه من عمله.

سأل البقّال محمود: ما اسمك أيها الغلام؟

فأجاب محمود: اسمي مطشّر.

انهمك محمود طيلة ساعات بمساعدة صاحب الدكان في البيع ونقل البضائع .. وكان الرجل شديد الفرح به . ثم تذكر البقال ان لديه مهمة مستعجلة لا بدّ من قضائها ، فقال لمحمود :

«إسمع يا مطشر .. أنا ذاهب لقضاء حاجة ، وسأعود بعد ساعة . افتح عينيك جيداً على الدكان .. ابني مطشّر .. طشّرْ .. طشّرْ يا سبع !»

قال محمود : تأمر عمّي !

وما انْ خرج الرجل وغاب عن الأنظار ، حتى وثب محمود الى أقرب بضاعة اليه ، وكانت كيساً مليئاً بالرز ، وتناول المغرفة وجعل يغرف منها ويطشّر في عرض السوق والناس ينظرون اليه باستغراب شديد .

في تلك الأثناء كان الخزّاف يقصد دكان البقال ليشتري منه أصباغاً لمصنوعاته .. فلاحظ من بعيد جمعاً من الناس حول دكان البقال .. ثم شاهد غلاماً يثب كل لحظة الى داخل الدكان ويخرج،وفي يده مغرفة كبيرة مليئة تارة بالرز ، وأخرى بالسكرّ ، وثالثة بالطحين ، وينثرها في عرض السوق .



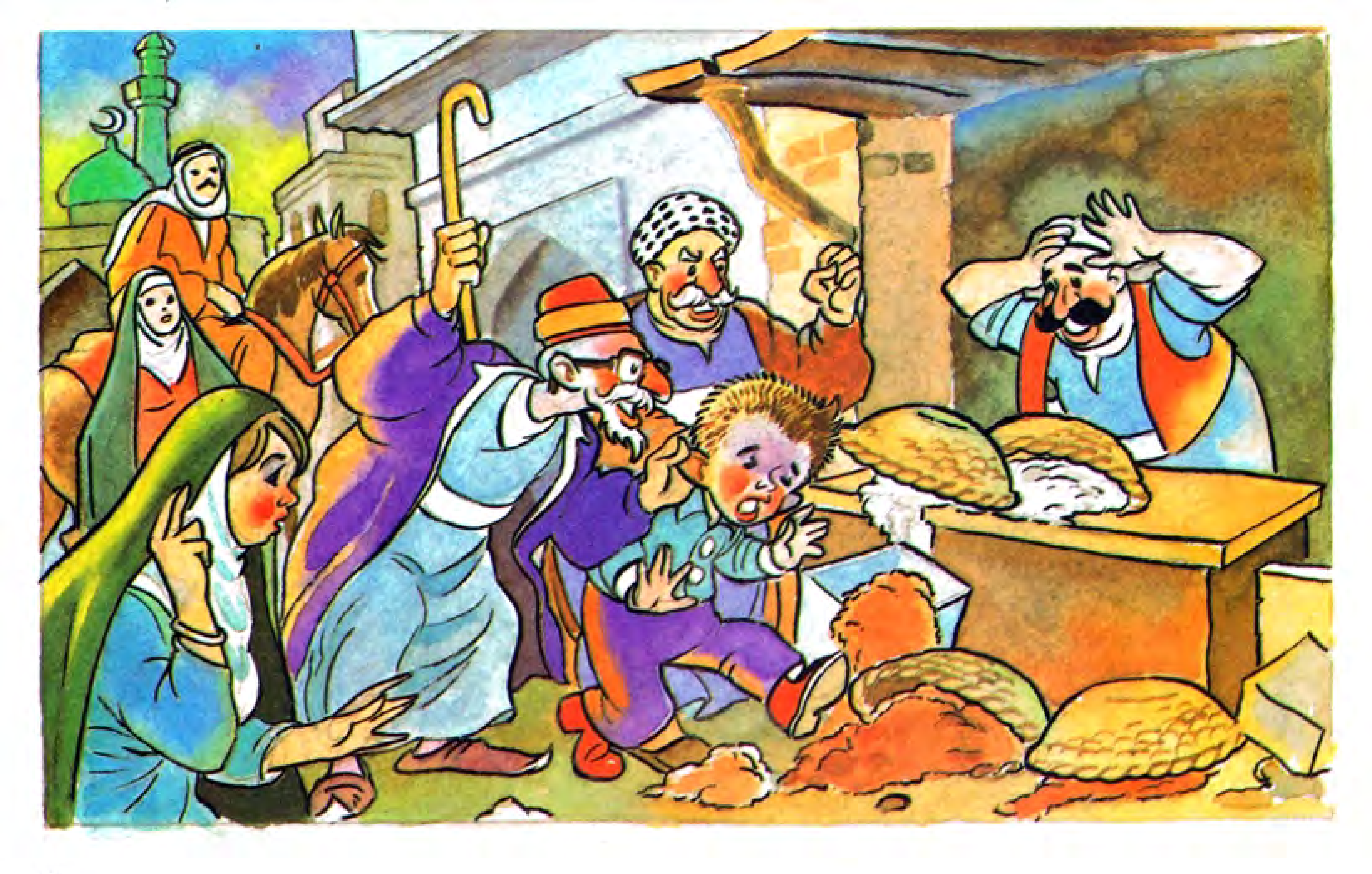
ما انْ وصل الخزّاف الى الدكان حتى عرف الغلام . إنه هو نفسه «كسّار» الذي اشتغل عنده قبل يومين وكسّر له جميع مصنوعاته .

وثب الخزّاف على محمود وأمسك به قبل أن يستطيع الفرار .. وفي هذه الأثناء كانت أم محمود قد حضرت لترى ابنها ، فرأت بعينها ما صنع بدكان البقال .

ركض بعض أهل السوق وراء البقال ليخبره بما فعل الغلام بدكانه .. بينما سحب الخزّاف محمود مصرّاً على أخذه الى مركز الشرطة ، وحولهما جمع من الأطفال ، ومحمود يصرخ ويبكي .. وكانت أمه تتوسل الى الخزّاف أن يتركه ، ولكن دون جدوى .

وبينما هم في طريقهم ، مرّوا على دكان البزّاز العجوز .. فأطلّ الرجل المسنّ برأسه ليرى سبب هذا الهرج والصراخ ، وما انْ وقعت عينه على محمود حتى وثب من دكانه وأمسك به صارخاً : هذا الذي خرّبَ بيتي ! .. سأذهب معكم الى مركز الشرطة .

وفي الطريق لحق بهم البقّال .. وتعاون الثلاثة على الأمساك بمحمود ، وكانوا يتناوبون ضربه،ومحمود يبكي بحرقة .





أخذت أم محمود تبكي بكاء شديداً ، وتتوسل بالخزّاف والبزّاز والبقّال ، وتقول لهم : «ماذا ينفعكم لو حبسوه ؟؟ إنني امرأة أرملة وحيدة ، وليس لي أحد غير هذا الغلام .. أتوسل اليكم أن تتركوه» .

وكانت تتشبّث بأيديهم وتبكي بكاء مؤلماً .

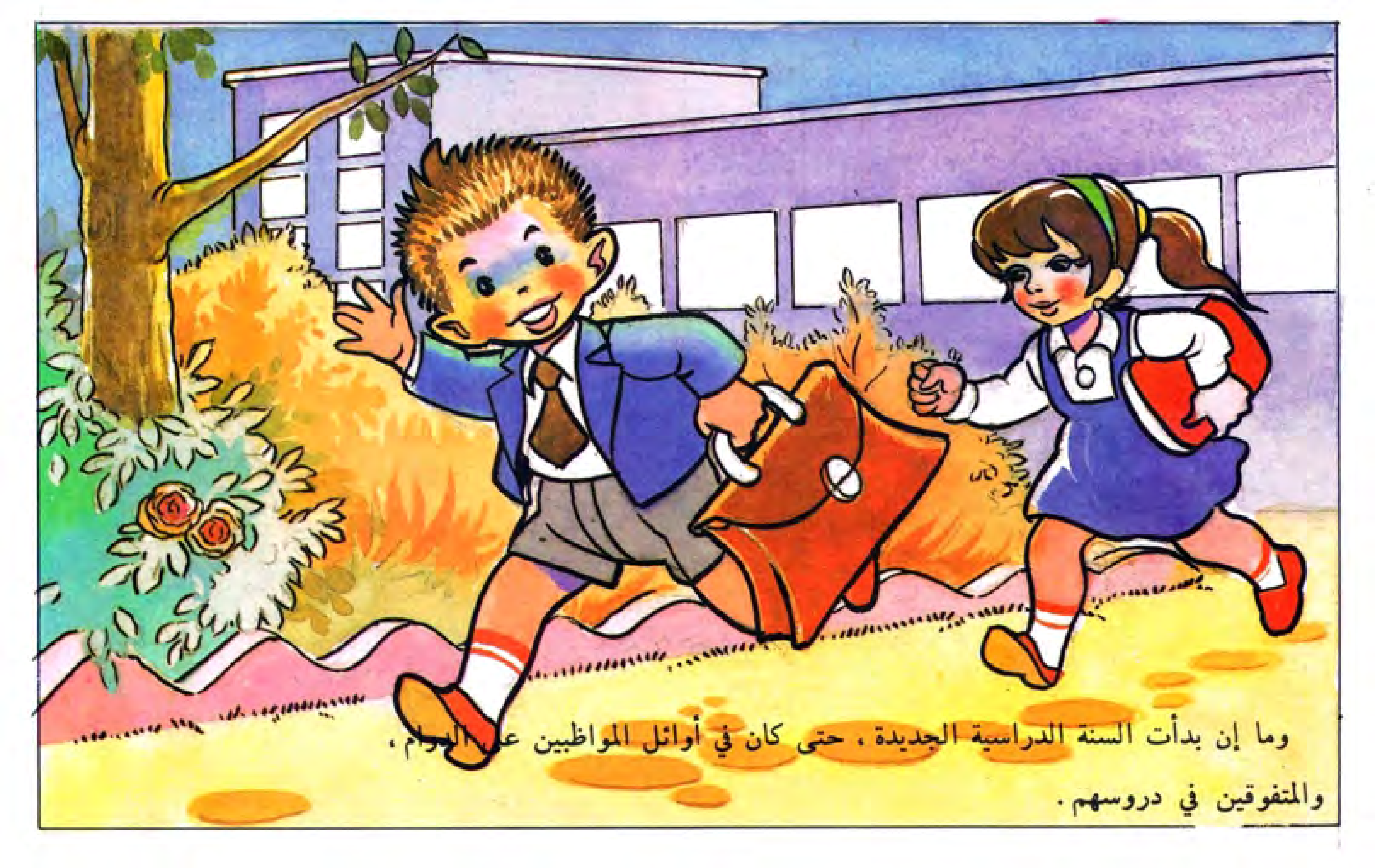
وقف الرجال الثلاثة .. ونظروا الى بعضهم .. ونظروا الى هذه المرأة الفقيرة المسكينة والى دموعها ، فتألموا .. وأيقنوا ان بضاعتهم التي أتلفها هذا الولد المشاكس لن تعود اليهم بحبسه وإن كان يستحق الحبس والعقاب . ولهذا اتفقوا على اطلاق سراح محمود ، فتركوه بعد أن شبع طول الطريق ضرباً وتعنيفاً .



كان الوقت عشاء .. وعائشة تحضر دروسها ، والأم وراء ماكنة الخياطة دامعة العينين . أما محمود فقد قبع يبكي في زاوية الغرفة .

«أنا مخطىء يا أمي .. أنا مخطىء» .. كان محمود يردد ذلك وهو ينتحب .

ومنذ ذلك اليوم استقام محمود ، وصار يخرج للعمل كل صباح ، ويعين أمه في شؤون البيت حين يعود .


وما إن بدأت السنة الدراسية الجديدة ، حتى كان في أوائل المواظبين على الدوام ،
والمتفوقين في دروسهم .